ملخص كتاب: قواعد قرآنية

(50) قاعدة قرآنية في النفس والحياة

د. عمر المقبل

جنى المعرفة:

مبادرة هادفة لإثراء المحتوى الرقمي بمنتج ثقافي قيّم، يسهم بزيادة مستوى الوعي والمعرفة عن طريق تقديم الكتب الثقافية من خلال محتوى مرئي ومسموع لكي تكون عناقيد المعرفة بين يديك.



ملخص كتاب: قواعد قرآنية

(50) قاعدة قرآنية في النفس والحياة

د. عمر المقبل

قام المؤلف بوضع تمهيد لكتابه بيَّن فيه تعريف القاعدة وخلص إلى أن

القاعدة لغة: هي الأصل الذي تنبني عليه مسائله وفروعه.

واصطلاحاً: هي "قضية كلية منطبقة على جزيئاتها".

القاعدة الأولى: {وقولوا للناس حسنا}

وهي قاعدة ضابطة لعلاقة الإنسان اللفظية مع غيره، والقول الحسن يشمل الحسن في هيئته فيكون باللطف واللين، وفي معناه بأن يكون خيراً. ولهذه القاعدة تطبيقات كثيرة منها: مع الوالدين {فلا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً}. مع السائل المحتاج {وأما السائل فلا تنهر} والآية تشمل بعمومها كل سائل كما يراه بعض أهل العلم. مع أهل الجهل {وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً}. كما أن ترك العمل بهذه القاعدة له مفاسد كثيرة، لذلك قال الله عز وجل بعدها: {إن الشيطان ينزغ بينهم}.

القاعدة الثانية: {وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم}

ومعنى القاعدة أن الإنسان قد يقع له شيء من الأقدار المؤلمة، فيجزع ويكره ذلك، ثم يتبين له أن ذلك المقدور كان فيه الخير وهو لا يدري. والعكس أيضاً صحيح؛ وهو أن الإنسان ربما يسعى في أمر ظاهره الخير ثم يتبين له أن الخير كان على خلافه. وإعمال هذه القاعدة في الحياة يملأ القلب طمأنينة وراحة نفسية بل إنها من أهم الأسباب لدفع القلق الذي عصف بحياة كثير من الناس. فعلى المرء أن يسعى ويتوكل على الله ويحسن الظن بمولاه.

القاعدة الثالثة: {ولا تنسوا الفضل بينكم}

وهذه قاعدة سلوكية عظيمة جاءت في سياق آيات الطلاق في سورة البقرة، ومعناها باختصار أن الله يأمر الزوجين إن حدثت بينهما فرقة ألا ينسيا ما كان بينهما من سابق العشرة الطيبة، والمعاملة الحسنة، وذلك ترغيباً في العفو والصفح مرضاة لله تعالى. وهذه القاعدة تتسع لتشمل كل علاقة سواء بين الزوجين أو بين كل من يجمعهم صداقة أو علاقة، وعدم نسيان الفضل بين الزوجين وإن تفارقا؛ يقرب البعيد ويسهل على صاحب الحق أن يعفو.

القاعدة الرابعة: { بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره}

وهي قاعدة من قواعد التعامل مع النفس ووسيلة من وسائل علاجها، وفي ذات الوقت تمثل سُلَّماً ترتقي به النفس في مراقي التزكية. ومعنى القاعدة: أن الإنسان مهما حاول أن يجادل عن أفعاله وأقواله التي يعلم من نفسه بطلانها أو خطأها، ومهما اعتذر المعتذر باعتذارات فهو أبصر بنفسه، ولا يوجد أعرف بما في نفسه منه، وجاء التعبير بقوله {بصيرة} دلالة على الوضوح والحجة.

القاعدة الخامسة: {وقد خاب من افترى}

جاءت هذه القاعدة في سياق الحوار بين موسى وسحرة فرعون، حيث قال لهم موسى عليه السلام: { ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب، وقد خاب من افترى} والافتراء يراد به : الكذب أو الشرك أو الظلم. قال ابن القيم: (وقد ضمن سبحانه أنه لا بد أن يخيب أهل الافتراء ولا يهديهم، وأنه يسحتهم بعذابه، أي يستأصلهم).

القاعدة السادسة: {والصلح خير}

وهذه قاعدة من قواعد بناء المجتمع وإصلاحه، وتدارك أي سبب لتفككه، وقد وردت هذه القاعدة في سياق الحديث عما يقع بين الأزواج من أمور قد تؤدي إلى الاختلاف والفرقة، ولفظ القاعدة عام مطلق يشمل كل صور الإصلاح بين الناس، وإن كان الإصلاح بين الزوجين من أبرز هذه الصور. فالصلح بين طرفي المنازعة خير من استقصاء كل منهما حقه لما يورثه الصلح من نقاء النفس وبقاء الألفة. والصلح جائز ما لم يحل حراماً أو يحرم حلالاً.

القاعدة السابعة: {ما على المحسنين من سبيل}

هذه قاعدة من قواعد التعامل الإنساني، وقد وردت في سياق الحديث عن أصناف المعتذرين عن غزوة تبوك. ومعنى القاعدة أنه ليس على أهل الأعذار الصحيحة المقبولة إثم؛ بشرط هام وهو: {إذا نصحوا} أي بنيّاتهم وأقوالهم، بحيث لم يرجفوا الناس ولم يثبطوهم وهم محسنون في حالهم هذا. ولفظ القاعدة عام يجعلها تتسع لتشمل صوراً كثيرة في الحياة يوافق فيها فتح باب الإحسان. كما أنها تدل بعمومهاعلى أن الأصل براءة الذمة. كما تدل أيضا على أن غير المحسن كالمفرط والمسيء والمتعدي والمهمل ؛ عليهم الضمان وتحمل التبعة. فربما اجتهد أحد الناس في إتقان عمل دعوي أو اجتماعي أو عائلي تطوعاً فيه، ويبذل جهده وماله، ولا يجد على الخير معيناً، فيجتهد وحده للقيام به، وربما ظهر فيه بعض النقص الذي لا يسلم منه بشر، فإذا به يقابل بعاصفة من اللوم والعتاب بدل الشكر والتقدير. فما أحقه بقوله تعالى {ما على المحسنين من سبيل}. ولا يعني ذلك ترك التنبيه على الأخطاء، ولكن يكون بأسلوب لين يحفظ له جهده وتقديره على سعيه.

القاعدة الثامنة: {ولا تزر وازرة وزر أخرى}

ومعنى القاعدة باختصار: أن المكلفين إنما يجازون بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وأنه لا يتحمل أحد خطيئة أحد ما لم يكن له سبب فيها وهذا من كمال عدل الله تبارك وتعالى وحكمته. وقد تكرر ذكر هذه القاعدة خمس مرات في كتاب الله تعالى مما يبين أهميتها، وهي قاعدة عامة في جميع الشرائع.

القاعدة التاسعة: {وليس الذكر كالأنثى}

هذه قاعدة قرآنية عظيمة يتجلى فيها كمال علم الله وحكمته وقدرته في خلقه. وقد جاءت الآية في سياق قصة امرأة عمران، حيث نذرت لله ما في بطنها ليخدم بيت المقدس، فلما وضعته أنثى قالت معتذرة {وليس الذكر كالأنثى} لما بينهما من الفوارق الكثيرة. وقد وردت آيات كثيرة تبين هذا التفاوت القدري الذي تفرع عنه اختلاف بين الجنسين في جملة من الأحكام الشرعية كالميراث والشهادة وغيرها من الأحكام التي جاءت مراعية طبيعة الأنثى من حيث خلقتها وتركيبها العقلي والنفسي في حكمة بالغة، يعلمها من خلق وهو اللطيف الخبير سبحانه. وهذه القاعدة تحمل بطلان وزيف الدعوى التي تطالب بالمساواة بين الرجال والنساء؛ يتعارض مع تكوين المرأة النفسي والبدني، وأدلة الشرع والواقع شاهد على رد هذه الدعوى.

القاعدة العاشرة: {ولينصرن الله من ينصره}

هذه قاعدة جليلة من القواعد القرآنية تظهر فيها القدرة الإلهية لتساند جند الإيمان في كل زمان ومكان. والنصر كلمة محببة للنفوس، وتتطلع إليها الأمم، فيلفت القرآن نظر أتباعه على أن حقيقة النصر إنما تتأتى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، ونصرة الرسل والدين وجهاد الأعداء. وقد جاءت هذه القاعدة ضمن آيتين كريمتين أبرزتا أسباب النصر حيث قال الله تعالى: { ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور} فما نُصر دين الله بأعظم من إظهار شعائره العظيمة، التي هي بمثابة أصول التمكين في الأرض، وسبب لاستمطار توفيق الله ومدده ونصره. والإيمان بالله حقاً سبب كذلك لتحصيل النصر {وكان حقاً علينا نصر المؤمنين}.

القاعدة الحادية عشرة: {ولا يفلح الساحر حيث أتى}

وهي قاعدة من القواعد القرآنية المحكمة التي تشتد حاجة الناس إليها، ويتعين إبرازها لهم، لا سيما في مثل هذه الأيام التي راجت فيها سوق السحرة المشعوذين. وهي قاعدة مضطردة حيث جاء الفعل المضارع في سياق النفي مما يكسبه صفة العموم، كما أن سياق الآية يتضمن كفر الساحر حيث نفي عنه الفلاح نفياً عاماً، ومن ثم يحرم التعامل معه بأي شكل من أشكال التعامل. فمن أيقن بأن

الساحر لا يفلح حيث أتى يجب عليه أن يتجنب إتيان السحرة الخاسرين فهذا يعرض للخسران المبين، فلا ينبغي أن تضعف نفسه مهما كان المبرر. ويقين المؤمن بهذه القاعدة يقوي عبادة التوكل عنده، ويجعل قلبه مطمئناً بأن الله حسبه وكافيه، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وإنما تجري الأمور بقدرته سبحانه.

القاعدة الثانية عشرة: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}

وقد جاءت هذه القاعدة مقررة الأصل الجامع والمعيار العظيم الذي ينبغي أن يوزن به الناس، ضاربة عرض الحائط بما كان عليه أهل الجاهلية في نظرتهم لغيرهم من الناس.وحياة النبي ﷺ مليئة بالشواهد التي تبين طريقته في التطبيق العملي لهذه القاعدة، حيث عنّف أبا ذر لمّا عيّر رجلاً بأمه، وأعلى من مكانة الموالي بناءاً على إيمانهم وتقواهم وجالسهم وخالطهم وأردفهم على الدابة.... وغيرها الكثير من المواقف. ولا يوجد في كتاب الله آية واحدة يُمدح فيها أحد بنسبه، أو يُذم أحد بنسبه، وإنما يمدح بالإيمان والتقوى، ويذم بالكفر والفسوق والعصيان، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

القاعدة الثالثة عشرة: {آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً}

هذه قاعدة من القواعد القرآنية تظهر للعبد شيئاً من عظمة الله في خلقه وحكمته في شرعه، وتوقف العبد على قصوره في علمه. وقد جاءت هذه القاعدة في سياق آيات في الفرائض في سورة النساء، ومعناها الإجمالي: الذين يرثونكم من الآباء والأبناء لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً، أي لا تعلمون أيهم أنفع لكم في الدين والدنيا، بل إن الله هو العالم بمن هو أنفع ويدبر الأمور على ما فيه من المصلحة والنفع. وفي القاعدة إشارة إلى أن الأمور لو وكلت إلى عقول الخلق لحصل من الضرر ما الله به عليم، بسبب نقص العقول وعدم معرفتها بما هو خير لها. من أجل ذلك تولى الله قسمة المواريث بنفسه ولم يتركها للبشر، كما تتضمن الآية إشارة إلى أهمية الرضا بما يُرزق الإنسان من الأولاد، ذكراً كان أم أنثى، أو حتى إن لم يُرزق.. فلا يدري أيهم أنفع له، ومن ثم يجب عليه أن يستسلم لأمر ربه، ويرضى بما قسمه له.

القاعدة الرابعة عشر: {فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم}

وهذه قاعدة قرآنية محكمة، تحكي معنى عظيماً من معاني الاستسلام لأمر الله تعالى والانقياد لحكمه. وقد جاءت في سياق الحجاج مع المشركين، وبيان أساليبهم وعنادهم لرد الشريعة، حيث بين سبحانه أن الدافع وراء عدم استجابتهم إنما هو اتباعهم لأهوائهم. وهي قاعدة هامة يحتاج المسلم أن يتذكرها دائماً خصوصاً في هذا العصر الذي كثرت فيه الأهواء، وتنوعت المشارب في التعامل مع النصوص، وفتحت أبوابا كثيرة على الناس من التساهل وضعف الاستمساك بأوامر الشريعة. ومما يجب التنبه له الحذر من إسقاط هذه القاعدة على المعينين إلا بعد العلم واستيفاء شروط ذلك وانتفاء موانعه، وكذلك الحذر من تنزيلها على المسائل الشرعية المختلف فيها اختلافاً معتبراً عن أهل العلم.

القاعدة الخامسة عشر: {والعاقبة للمتقين}

هذه قاعدة من القواعد القرآنية المحكمة التي تبعث الأمل في نفوس أهل الإيمان، وتملأ قلوبهم ثقة واطمئناناً ويقيناً، وقد جاءت على لسان موسى عليه السلام تبشيراً لقومه بحسن العاقبة لهم في الدنيا قبل الآخرة، والتمكين في الأرض إن هم لازموا التقوى حيث قال الله تعالى: {استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين}. وهي عاقبة في الدنيا والآخرة، وهي تتضمن الأمر بالتقوى، إذ لا تتأتى العاقبة الحسنة إلا بعد تحقيق التقوى على الوجه الصحيح، فوعد الله لا يخلف، وسنته لا تتبدل.

القاعدة السادسة عشر: {قل لا يستوي الخبيث والطيب}

هذه قاعدة قرآنية عظيمة يحتاج إليها الإنسان في مقام التمييز بين الأقوال والأفعال والسلوكيات والمقالات. ولأهمية هذه القاعدة كثُرت تطبيقاتها في القرآن الكريم، من التأكيد على ضرورة العناية بالمكاسب الطيبة والقول الطيب والعمل الطيب. وتتضمن الآية الإشارة إلى عدم الاغترار بالكثرة فلا يصح أن نجعلها مقياساً لطيب الشيء وصحته ، بل يجب الحكم على الأشياء بميزان الشرع.

القاعدة السابعة عشر: {إن خير من استأجرت القوي الأمين}

هذه قاعدة من القواعد القرآنية المحكمة في أبواب المعاملات والعلاقات بين الناس. وقد جعل العلماء هذين الوصفين من أسباب الترجيح في اختيار من يلي أمراً من الأمور، وأن الأحق هو من توفرت فيه. والمتأمل في آيات القرآن يلحظ تلازماً ظاهراً بين هاتين الصفتين (القوة والأمانة) في مواضع كثيرة. والقوة في كل شيء بحسبها، والأمانة ترجع إلى خشية الله في السر والعلن، واجتماع القوة والأمانة في الناس قليل.

القاعدة الثامنة عشر: {ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله}

تأتي هذه القاعدة القرآنية المحكمة لتبين سنة ماضية من سنن الله تعالى في تعامل الخلق مع بعضهم. وقد جاءت هذه القاعدة القرآنية في سياق الكلام عن طائفة من المعاندين في سورة فاطر، حيث استكبروا في الأرض ومكروا المكر السيء، بعد أن أقسموا لئن جاءهم رسول من عند الله ليكونُن أكثر الناس اتباعاً للحق، وكذبوا، ومن ثم فإنهم سوف يجنون عاقبة مكرهم، فهذه سنة ماضية لا تبديل لها ولا تحويل. ويدخل في عموم القاعدة كل مكر سيء قديماً وحديثاً. لذلك أعقبها الله بقوله: {فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً}.

القاعدة التاسعة عشر: (ولكم في القصاص حياة)

هذه قاعدة من القواعد المحكمة في أبواب التعامل بين الخلق، الذين لا تخلو حياة كثير منهم من بغي وعدوان سواء على النفس أو على ما دونها. وهذه القاعدة القرآنية العظيمة جاءت في سياق الكلام على حكم القصاص في القتلى، فجاءت هذه القاعدة لتبين أن القصاص رادع عن جريمة القتل، خلافاً لما يزعمه أعداء الإسلام أن القصاص فيه تقليل لعدد أفراد المجتمع بقتل إنسان ثان بعد موت الأول، فينبغي أن يعاقب بالحبس، فقد يولد له في الحبس مولود فيزيد المجتمع - على حد زعم هؤلاء الكفار- وهو كلام ساقط عار من الحكمة، لأن الحبس لا يردع الناس عن القتل، ومن ثم يكثر القتلة، الأمر الذي يضاعف نقص الأفراد بكثرة القتل. كما أن القصاص يطمئن أولياء القتلى بأن القضاء سينتقم من المعتدي، فتحسم مادة الفوضى بألا يتصدى أولياء القتيل للانتقام من القاتل بأنفسهم. فكان في مشروعية القصاص حياة عظيمة للجانبين.

القاعدة العشرون: (ومن يهن الله فما له من مكرم)

هذه قاعدة من القواعد المحكمة في أبواب العدل والجزاء، ولتدبرها أثر عظيم في فهم المؤمن لما يطالعه من أحداث التاريخ، أو يعايشه من وقائع وتقلبات الزمن بأهله، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، وقد وردت هذه الآية في سياق يبرز لنا أن أعلى صور كرامة العبد وأبهاها أن يوحد ربه، ويفرده بالعبادة، وترجمة ذلك بالسجود له والتذلل بين يديه اعترافاً بحقه تعالى ورجاء لفضله وخوفاً من عقابه، وقد اشتملت القاعدة على بيان أنه لا يمكن أن يكرم من أهانه الله بقوله فما لهُ: {من مكرم}. وإن من أعظم أسباب تعرض العبد للهوان بعد الشرك تجرؤه على معصية الله، فيسقط من عين ربه، كما قال الحسن البصري: "هانوا عليه فعصوه، ولو عزّوا عليه لعصمهم"، ومن ثم تسقط مهابته من قلوب الخلق ويهون عليهم، ويستخفون به، فعلى قدر محبة العبد لله يحبه الناس، وعلى قدر خوفه من الله يخافه الناس، وعلى قدر تعظيمه لحرمات الله يعظم الناس حرماته. فمن ذا الذي يكرم من أهانه الله؟!

القاعدة الحادية والعشرون: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}.

هذه قاعدة من القواعد المحكمة في أبواب التعامل مع الخالق عز وجل والتعامل مع خلقه، والصدق أعم من أن يختصر في مجرد الأقوال، بل الصدق يشمل الأقوال والأفعال والأحوال، وقد كان صلى الله عليه وسلم صادق اللهجة، عف اللسان، أميناً وفياً حافظاً للعهود، فقبل بعثته عرف بالصادق الأمين، ومن تأمل الآية علم أنها بسياقها تشمل جميع الأقوال والأفعال والأحوال. والصدق له آثار حميدة وعوائد جليلة، وهو دليل رجحان العقل، وحسن السيرة، ونقاء السريرة، وله حلاوة ولذة عجيبة. فمن آثار الصدق التي دل عليها القرآن أن الصادق سائر على درب الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو مُعان ومنصور يسخر الله له من يدافع عنه.

القاعدة الثانية والعشرون: {إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين}

هذه قاعدة من القواعد المحكمة في أبواب التعامل مع الخالق عز وجل، والتعامل مع خلقه، وهي قاعدة بمثابة الملاذ لمن تقابل أعمالهم بعدم التقدير. وهي واضحة في بيان أثر التقوى والصبر، وتظهر التقوى في امتثال فعل المأمور وترك المحظور، ويظهر الصبر في تحمل مشقة فعل المأمور، وتحمل مشقة ترك المحظور. وفي القاعدة تربية للنفس على التقوى والصبر عن كل معصية حتى ولو شاعت وعمت بها البلوى، وتفنن الفجار في ترويجها، فعلى المؤمن الناصح لنفسه أن يجاهدها في البعد عن هذا المرتع الوخيم، كتقليب النظر في الصور المحرمة وغيرها من وسائل الفساد المنتشرة في هذا العصر. فعلى من ابتلي بشيء من ذلك أن يتذكر القاعدة القرآنية {إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين}.

القاعدة الثالثة والعشرون: {وأتوا البيوت من أبوابها}

هذه القاعدة القرآنية جاءت ضمن سياق الحديث عن عادة من عادات أهل الجاهلية الذين إذا أحرموا لم يدخلوا البيوت من أبوابها تعبداً بذلك، وظناً منهم أنه بر، فأخبر الله تعالى أنه ليس ببر، لأنه لم يشرعه لهم، ولئن كان سبب نزول هذه الآية خاصاً إلا أن هناك تطبيقات كثيرة واسعة لهذه القاعدة القرآنية الجليلة، منها: أن عبادة الله تعالى هي الطريق الموصل إليه سبحانه، فمن رام الوصول إليه سلك الطريق الموصلة لذلك، وهي طريق محمد ﷺ. ومنها كل مطلوب من المطالب المهمة ينبغي أن يؤتى من بابه، فهذا أقرب الطرق لتحصيله، الأمر الذي يتطلب معرفة الأسباب والوسائل معرفة تامة، ليسلك السالك أحسنها، وأقربها وأسهلها، سواء كان في الأمور العلمية أو العملية.

القاعدة الرابعة والعشرون: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}

إن من سلك طريقا لا بد أن يتصور ما به من صعوبات ليكون على بينة من أمره، وطريق الدعوة إلى الله لا يخرج عن هذه الحقيقة، فلن ولم يكن مفروشاً بالورود والرياحين، بل هو طريق تعرض فيه أنبياء الله ورسله لصنوف من الأذى والتضييق، فإذا أدرك الداعية ذلك تحمل كل ما يلاقيه من المحن بقلب ثابت، فيحقق أصلين كبيرين دلت عليهما هذه القاعدة: الأصل الأول: بذل الجهد والمجاهدة في الوصول إلى الغرض الذي ينشده المسلم في طريقه إلى الله. والأصل الثاني: الإخلاص لله سبحانه.

القاعدة الخامسة والعشرون: {وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً}

هذه قاعدة من القواعد التي تتصل بفقه السنن الإلهية في الأمم والمجتمعات، والآيات التي يخوّف الله بها عباده متنوعة، فقد يكون موتاً متفشياً كوباء أو مرض فتاك، أو انتقاماً وتخويفاً من المعاصي، وقد تكون تلك الآيات عبارة عن معجزات الرسل جعلها الله تخويفاً للمكذبين، ككسوف الشمس والقمر. إن تخويف العباد وترهيبهم من الوقوع في الذنوب والمعاصي حكمة إلهية من أجلها

أرسل الله الآيات والنذر، وأخذ الأمم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون، ولعلهم يزدادون عملاً وإيماناً فيعود ذلك عليهم بالبركة. وإن من خذلان البعض أن يستهين بما يرسله الله من آيات ليخوف بها عباده، ويسخر من بعض الدعاة الذين يربطون ذلك بذنوب العباد، وما أشبههم بقوم عاد الذين قال الله فيهم: {فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا}. وإن مما يقطع عليهم طريق شبهاتهم قطعاً قول الله عز وجل: {مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً}.

القاعدة السادسة والعشرون: {إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا}

هذه القاعدة القرآنية عظيمة الصلة بواقع الناس، وتزداد الحاجة إلى التنويه بها في هذا العصر الذي اتسعت فيه وسائل نقل الأخبار. وقد جاءت ضمن سياق الآداب العظيمة التي أدب الله بها عباده في سورة الحجرات، وهي قاعدة واضحة في الأمر لعموم المؤمنين أن يتحققوا من الأخبار بالتثبت من صحة الخبر، والتبين لحقيقته. وهي قاعدة مانعة لسوء الظن، وسوء النقل، وسوء التلقي للأخبار، والتسرع في الحكم على الناس لمجرد شائعات أو أخبار لا ساق لها تقوم عليها. وقد تضمنت هذه القاعدة بيان أن خبر العدل مقبول غير مردود ما لم تظهر قرائن تدل على عدم ضبطه، كما تضمنت أيضاً أن خبر الفاسق لا يرد لمجرد كونه فاسقاً، وإنما جاء الأمر بالتبين، فإن قامت قرائن تدل على صدقه عمل بدليل الصدق ولو أخبر به من أخبر. وفيها أيضاً إشارة إلى خطورة التعجل في تلقي الأخبار عن أي أحد، لما يحتمل من إصابة قوم بجهالة أو الطعن فيهم بغير حق. وقد اتسع شر ترك العمل بهذه القاعدة في عصرنا مع اتساع وسائل الاتصال المعاصرة، حتى صار الأمر أن يكذب الرجل الكذبة فتبلغ الآفاق، مما يتطلب مضاعفة التثبت والتبين قبل أن يندم الإنسان، ولات ساعة مندم.

القاعدة السابعة والعشرون: {ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه}

هذه قاعدة قرآنية عظيمة القدر لعظيم أثرها في حياة العبد، وقوة صلتها بتلك المضغة التي بيّن النبي ﷺ أن صلاحها صلاح لبقية الجسد، وفسادها فساد له، والمقصود بالتزكية: تطهير للقلب من أدران الذنوب والمعاصي، وتحلية للنفس بمكارم الأخلاق وطيب الشمائل. وإن من أهم وسائل التزكية توحيد الله عز وجل، وملازمة قراءة كتابه وتدبره، وكثرة الذكر، والمحافظة على الصلاة المفروضة، وقيام الليل ولو قليلاً، وتذكر الموت والآخرة، وزيارة القبور، ومطالعة سير الصالحين، ومجانبة ما يحول دون يقظة القلب، كإطلاق النظر إلى المحرمات، أو إطلاق اللسان فيما لا يرضي الله... أو غيرها.

القاعدة الثامنة والعشرون: {ولا تبخسوا الناس أشياءهم}

هذه قاعدة قرآنية تتصل بواقع الناس، سواء في أبواب المعاملات - وهذا هو الأصل في سياقها التي وردت فيه - أو في أبواب تقييم الناس والأعمال. ومع التأمل في هذه القاعدة، نجد أنها جاءت بعد

عموم النهي عن نقص الكيل والميزان ليشمل جميع ما يمكن بخسه من حقوق الناس، قليلاً كان أو كثيراً، وإلا فإن ذلك التطفيف يحول دون النماء والحضارة، فيختل حال الأمة بقدر ما يتفشى فيها ذلك. وهي قاعدة عامة في كل حق ثبت لصاحبه بحرمة هضمه، وفي كل ملك بحرمة غصبه، وعدم التصرف فيه إلا بإذنه أو إذن الشرع، ولا يقف الأمر عند مجرد الحقوق الحسية، بل يتعداه إلى الحقوق المعنوية، إذ إنها قاعدة بعمومها تصلح أن تكون قاعدة من قواعد الإنصاف مع الغير.

القاعدة التاسعة والعشرون: {والله أعلم بأعدائكم}

هذه قاعدة قرآنية عظيمة الصلة بواقع الناس، وتزداد الحاجة إلى التنويه بها في هذا العصر، الذي اتسعت فيه وسائل نقل الأخبار، وكثر فيه تكالب الأعداء سراً وعلانية. ولفهم هذه القاعدة بشكل جيد يتطلب الأمر ذكر السياق الذي وردت فيه من سورة النساء، حيث يقول الله تعالى : {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل، والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً}. فالآية متضمنة تحذيراً للعباد من الاغترار بمن يشترون الضلالة، أي يحبونها محبة عظيمة، ويؤثرونها على الهدى ويطلبونها، ويرغبون أن يضل المؤمنون عن السبيل المستقيم، ولأن الله عز وجل يتولى عباده ويلطف بهم في جميع أمورهم؛ فإنه يكفيهم شر هؤلاء، وينصرهم عليهم. والعداوة الحاصلة بين الكافرين والمؤمنين قديمة، لذلك حرم الله علينا مودة هؤلاء الكافرين وموالاتهم، لأنهم كفروا بما جاءنا من الحق، وبسطوا أيديهم وألسنتهم لنا بالسوء. ومن كمال الشريعة أنها فرقت بين أنواع الكفار، فمن لم يقاتلنا في الدين ولم يخرجنا من ديارنا؛ لا مانع أن نبرهم ونقسط إليهم. ومن جملة الأعداء الذين نص القرآن على عداوتهم: المنافقون، الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ويزعمون أنهم مصلحون، لذلك هتك الله أستارهم وكشف أسرارهم، وأجلى لعباده بواطنهم، ليكونوا على حذر منهم، فهو سبحانه أعلم بما في صدور العالمين.

القاعدة الثلاثون: {ومن يتوكل على الله فهو حسبه}

هذه قاعدة قرآنية إيمانية تمتد جذورها في قلوب الموحدين في غابر الزمان وحاضره، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ومعناها ظاهر بيّن، فهي تقرر أن من توكل على ربه ومولاه في أمر دينه ودنياه، واعتمد عليه في جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره، وامتثل ما أمره به من الأسباب مع كمال الثقة بستهيل ذلك وتيسيره؛ كان الله عند حسن ظنه {فهو حسبه}.أي كافيه الأمر الذي توكل عليه به. فالتوكل على الله مطلوب في كل شؤون الحياة، مطلوب عند طلب النصر والفرج، مطلوب عند مواجهة الأعداء، مطلوب عند إعراض الخلق عن العبد، وتوليهم عنه، مطلوب لمن رغب في الصلح والإصلاح بين قوم مختلفين. فينبغي على العبد أن يكون دائم الافتقار إلى ربه، متضرعاً إليه متوكلاً عليه، طالباً منه التوفيق، متعوذاً به أن يخلي بينه وبين نفسه.

القاعدة الحادية والثلاثون: {وعاشروهن بالمعروف}

هذه قاعدة قرآنية وإيمانية وثيقة الصلة بواقع الناس الاجتماعي، وبالأخص تلك العلاقات الاجتماعية، وهي علاقة الزوج بزوجته، وقد جاءت ضمن سياق توجيه رباني عظيم، ومن المعروف أن يوفيها حقها من المهر والنفقة والقسم، وترك أذاها بالكلام الغليظ، والإعراض عنها، والميل إلى غيرها، وترك العبوس والتقطيب في وجهها بغير ذنب. ورغم قصر كلمات هذه القاعدة؛ إلا أنها غزيرة المعنى، وقد رد الله فيها أمر المعاشرة إلى العرف، ولم يحدده بشيء معين؛ لاختلاف الأعراف والعادات بين البلدان والمجتمعات.

القاعدة الثانية والثلاثون: {ولن يخلف الله وعده}

هذه قاعدة قرآنية إيمانية وثيقة الصلة بالواقع الذي تحياه الأمة اليوم بالذات، وهي تعيش هذه التغيرات المتسارعة، والتي خالها البعض خارجة عن سنن الله تعالى، وليس الأمر كذلك. وقد جاءت هذه القاعدة في سياق تهديد الكفار الذين قابلوا الدعوة إلى الإسلام بالتكذيب والجحود والاستهزاء والسخرية، فقال تعالى: {ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده}. وهي بلا ريب من أعظم ما يجدد الفأل في نفوس أهل الإسلام، ويزيدهم يقيناً بأن الله عز وجل ناصر عبده ومنجز وعده، وهازم الأحزاب وحده، قال تعالى: {ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه}. وقال تعالى: {ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم، وعد الله لا يخلف الله وعده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون}.

القاعدة الثالثة والثلاثون:{وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا}

إن هذه القاعدة هي ميزان عظيم في التعامل مع المال، الذي استخلف الله العباد فيه، وسيسألهم عنه يوم القيامة، من أين اكتسبوه، وفيم أنفقوه. هي قاعدة تحمل معاني التوازن من غير إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء في أمر الدين والدنيا، وقد اشتملت على أربع وصايا عظيمة تستحق التأمل:

1- {وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة} حيث إن الآخرة هي المستقبل الحقيقي.
2- {ولا تنس نصيبك من الدنيا} والنسيان هنا كناية عن الترك، والمعنى أنه لا تثريب عليك أن تأخذ نصيبك من الدنيا، حتى لا يتوهم متوهم أن ذلك يتنافى مع مبادئ الشريعة.
3- {وأحسن كما أحسن الله إليك} وهذا موافق للعقل والشرع، كما قال تعالى: {هل جزاء الإحسان إلا الإحسان}.
4- {ولا تبغ الفساد في الأرض} وهو تحذير من خلط الإحسان بالفساد، فهما ضدان، والأمر بالأول يقتضي النهي عن الثاني، وجملة {إن الله لا يحب المحسنين} علة للنهي عن الفساد، لأن العمل الذي لا يحبه الله لا يجوز لعباده أن يقدموا على فعله.

القاعدة الرابعة والثلاثون: {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم}

وهي قاعدة قرآنية عقَدية نزلت قبل أربعة عشر قرناً، ولا تزال معانيها تتجدد لأهل الإسلام في كل زمان، وقد جاءت مفصلة لحقيقة أهل الكتاب، واليهود بشكل أخص، لكونهم يسكنون المدينة، وجاءت قاطعة لكل أمل في استجابتهم وتأليفهم، وفيها إشارة لترك طلب ما يرضيهم ويوافقهم، والإقبال على طلب رضا الله بدعوتهم إلى الحق، فلا سبيل إلى إرضائهم إلا باتباع ملتهم، وإذا لم يكن إرضاؤهم إلا بذلك فلا سبيل له البتة، لأنه يتصادم مع أصل الشريعة، فاتباع ملتهم تنصل من شريعة الإسلام، فهما ضدان لا يجتمعان.

القاعدة الخامسة والثلاثون: {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب}

هذه قاعدة قرآنية إيمانية عظيمة متصلة بعبادة الدعاء. وبتأمل قوله: {عبادي} تلحظ فيها رأفة بالعباد، حيث أضافهم إلى نفسه العلية، وقد تضمنت القاعدة إثبات قربه من عباده سبحانه، وهو قرب خاص بمن يعبده ويدعوه؛ يدفع المؤمن للاجتهاد في الدعاء والتضرع، كما أنها حاوية لما يدل على قدرة الله، وكمال سمعه سبحانه، واستجابته لمن يدعوه. فما أعظم حرمان من قعد عن الدعاء، وعجز عن طرْق باب مولاه، وهو الخذلان الحقيقي أن يخلي بين العبد وبين نفسه فيعجز حتى عن الدعاء. وما أجمل العبد وهو يظهر فقره وعبوديته وانكساره بين يدي خالقه ورازقه، وما أسعده حينما يتحرى أوقات الإجابة ليناجي مولاه، ويسأله من واسع فضله.

القاعدة السادسة والثلاثون: {فاتقوا الله ما استطعتم}

هذه قاعدة شرعية من أهم القواعد وهي تدل بوضوح على أن كل واجب عجز عنه المكلف فإنه يسقط عنه، فإن قدر على بعضه وعجز عن بعضه فإنه يقدر بما يأتي عليه، ويسقط عنه ما يعجز عنه، كما في الصحيحين أنه ﷺ قال: (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم). فإذا اجتمعت مصالح ومفاسد، وأمكن تحصيل المصالح ودرء المفاسد؛ وجب فعل ذلك، وإن تعذر الدرء والتحصيل في وقت واحد؛ فإن كانت المفسدة أعظم من المصلحة درأنا المفسدة ولا نبالي بفوات المصلحة.

القاعدة السابعة والثلاثون: {فاستقم كما أمرت}

هذه قاعدة قرآنية عظيمة تضم كلمات جامعة، فالمؤمن يعلم أن غرض الشيطان هو إضلال ابن آدم عن الطريق المستقيم، فإذا استقام كما أُمر فقد أفشل سعي الشيطان. وعند تأمل الأمر الإلهي للنبي ﷺ بالاستقامة يتبين عظم هذا الأمر وخطورته، فإن الإنسان مهما بلغ من التقوى والإيمان فهو بحاجة ماسة إلى التذكير بما يثبته، ويزيد استقامته، ولو قدر أن إنساناً يستغني عن ذلك لكان النبي صلى الله عليه وسلم أغنى الناس عنه. وأعظم مدارج الاستقامة هي استقامة القلب، فإذا استقام استقامت بقية

الجوارح على الطاعة، وأعظم هذه الجوارح حاجة للاستقامة: اللسان، فهو ترجمان القلب والمعبر عنه.

القاعدة الثامنة والثلاثون: {فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره}

وهذه قاعدة قرآنية وكلمات جامعة تضمنت أصلاً عظيماً من أصول العدل والجزاء والحساب، فربما قلل أحدهم من شأن حسنة أو احتقر ذنباً وهو عند الله عظيم، فتأتي هذه القاعدة لتبين أنه: {فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره}. وإن من أعظم توفيق الله للعبد أن يعظم ما عظمه الله، فيعظم أمره ونهيه، ولا يحقرن صغيرة من الذنوب، بل ينظر إلى عظمة من عصى، لأن الكتاب يوم القيامة لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

القاعدة التاسعة والثلاثون: {فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب}

هذه قاعدة قرآنية عظيمة وجامعة من قواعد تربية النفس وتوجيه علاقتها مع الله عز وجل، حيث يأمر الله نبيه إذا انتهى من طاعة أو عمل ما أن ينصب ويبدأ في عمل أو طاعة أخرى، وأن يرغب إلى ربه في الدعاء والعبادة والتضرع والتبتل، لأن حياة المسلم الحق كلها لله، لا مجال فيها لسفاسف الأمور، فالرغبة في الله وإرادة وجهه، والشوق إلى لقاءه؛ رأس مال العبد، وملاك أمره، وقوام حياته الطيبة، وأصل سعادته وفلاحه ونعيمه، وقرة عينه.

القاعدة الأربعون: {إن الله يأمر بالعدل}

وهي قاعدة قرآنية وكلمة جامعة، وهي من أعظم قواعد الشرائع السماوية كلها، والتي لا يشذ عنها شيء، بل يدخل تحتها من الفروع ما لا يحصيه إلا الله، وتتفق عليها جميع الشرائع السماوية. وتمتد ظلال هذه القاعدة العظيمة، لتشمل جميع شؤون الحياة، ومنها: العدل مع الزوجات، والعدل مع الأولاد، والعدل مع الآخرين، والعدل في القول والفعل وسائر التصرفات. وهو باب واسع جداً يشمل الأفراد والجماعات والفرق والكتب والمقالات، ومنها العدل في النفقات، وبالجملة فإن أوامر الشريعة كلها عدل وقسط ووسط بين التفريط و الإفراط، وهذا هو معنى القاعدة القرآنية المحكمة {إن الله يأمر بالعدل}.

القاعدة الحادية والأربعون: {وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير}

إذا تقررت هذه الحقيقة الشرعية وهي أن الذنوب سبب للعقوبات العامة والخاصة؛ فحري بالعاقل أن يبدأ بنفسه، فيفتش عن مناطق الزلل فيه، وأن يسأل ربه أن يهديه بمعرفة ذلك، فلا يستهين بالذنب تلو الذنب، فإن الذنب أخرج الأبوين من الجنة، وطرد إبليس من ملكوت السماء حتى لعن، وبدل بالقرب بعداً، وبالرحمة لعنة، وبالجمال قبحاً، وبالجنة ناراً تلظى، وبالإيمان كفرا. والذنب أغرق

قوم نوح، وأرسل الريح العقيم على قوم هود، والصيحة على قوم صالح، وأهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرهم تدميراً. {إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون}

القاعدة الثانية والأربعون: {واحفظوا أيمانكم}

وهي قاعدة تأمر بحفظ الحلف عن الكذب، وعن الحنث فيها، إلا إذا كان الحنث خيراً، فيفعل الخير ويكفر عن يمينه، ولا يكثر من الحلف. ويجب حفظ الأيمان عن الحلف الكذب لأنه من أكبر الكبائر، وتلك يمين غموس تغمس صاحبها في الإثم. وقد أولى الشرع موضوع الأيْمان أهمية بالغة، وبيّن أحكامها تمام البيان حتى يعرف المسلم حدودها وما يجب وما يحرم وما يستحب منها؛ تعظيماً لله جل وعلا، على الوجه الذي يحبه ويرضاه.

القاعدة الثالثة والأربعون: {ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون}

وهي قاعدة قرآنية محكمة في باب الأخلاق، لها صلة قوية بتربية القلب وتزكيته، كما أن لها صلة بعلاقة الإنسان بغيره من الناس. وقد وردت في كتاب الله في موضعين في سورة الحشر وفي سورة التغابن، ومعناها لا يتضح إلا ببيان معنى الشح، فإن الأصل فيه المنع مع الحرص، وهو البخل الشديد. والخلاص منه يسير على من يسره الله عليه، ولا يوفق له إلا المفلحون.

القاعدة الرابعة والأربعون: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}

هذه من أعظم القواعد التي تعين على تعبيد القلب لرب العالمين سبحانه وتعالى، وتربيته على التسليم للانقياد له، فقد أوجب الله على العباد التأسي بالنبي ﷺ قولاً وفعلاً مطلقاً بلا استثناء ومن أعظم دلالات هذه القاعدة أنها تَرُدُّ على أولئك الذين يزعمون الاكتفاء بالقرآن فقط في تطبيق أحكام الشريعة، فها هو القرآن ذاته يأمر باتباع الرسول ﷺ، واتباع سنته.

القاعدة الخامسة والأربعون: {إن الحسنات يذهبن السيئات}

وهي قاعدة محكمة يحتاجها كل مؤمن، لا سيما من عزم على الإقبال على ربه، وقرع باب التوبة. ومعناها: أن الله تعالى يخاطب نبيه ﷺ وهو خطاب للأمة كلها، بأن يقيموا الصلاة طرفي النهار وساعات من الليل، ينصب فيها قدميه لله تعالى، وعلة ذلك الأمر {إن الحسنات يذهبن السيئات}. وإذا تبين معنى هذه القاعدة فليعلم أن إذهاب السيئات يشمل أمرين: إذهاب وقوعها وحبها في النفس بحيث يسهل عليه ترك السيئات. ويشمل أيضاً محو الإثم الحاصل من وقوع هذه السيئات.

القاعدة السادسة والأربعون: {وما تفعلوا من خير يعلمه الله}

وهذه القاعدة الجليلة تربي في المؤمن معاني إيمانية وتربوية كثيرة، وهو في طريق سيره إلى الله والدار الآخرة، منها الحث على إخلاص العمل لله عز وجل وإن لم يطلع عليه أحد، فالحرص على

إخفاء العمل عن الخلق معين على تحقيق الإخلاص. ومنها راحة النفس واطمئنان القلب حيث لا ينتظر العبد التقدير والثناء من الخلق، وإذا أنكر بعضهم معروفه أو جميله يوقن أن ربه لن يضيعه، فيهون عليه جحود الخلق ونكرانهم. والمقصود أن من فهم ما ترشد إليه هذه القاعدة العظيمة أقدم على فعل الخير، وسهل عليه الصبر على تقصير الخلق وجفائهم لأنه لا يرجو سوى الله {وما تفعلوا من خير يعلمه الله}.

القاعدة السابعة والأربعون: {ومن يؤمن بالله يهد قلبه}

علق الله هداية القلب على الإيمان، وفيها إشارة إلى الأمر بالثبات، والصبر عند حلول المصائب، لأنه يلزم من هدي قلب المؤمن عند المصيبة ترغيب المؤمنين في الثبات والصبر عند حلول المصائب، وأمر المؤمن كله له خير كما ثبت في الحديث الصحيح. وفي القاعدة تربية القلب على التسليم لأقدار الله المؤلمة، لأن الإيمان القوي برب العالمين والرضا به وبقدره؛ يجعل المؤمن موقناً بأن اختيار الله خير من اختياره لنفسه، وأن العاقبة الطيبة ستكون له ما دام مؤمناً حقاً. ولعل مما يعين على ذلك مطالعة قصص الأنبياء وأتباعهم، الذين لقوا ألواناً من المصائب والابتلاءات فصبروا عليها، فكان عاقبة أمرهم خيراً، حيث ظفروا ووجدوا أثر الرضا والتسليم إيماناً قذفه الله في قلوبهم.

القاعدة الثامنة والأربعون: {قد علم كل أناس مشربهم}

هذه قاعدة قرآنية محكمة سارت مسار الأمثال، وهي أثر من آثار حكمة الله تعالى في خلقه، تعين من تدبرها على رؤية الأمور بتوازن واعتدال. وقد شملت هذه القاعدة جملة من الإشارات، منها: أن الناس ليسوا على درجة واحدة من المواهب والقدرات، ومن ثم فإن معرفة الإنسان لما يحسنه ويتميز به مهم جداً لتحديد المجال الذي يمكن أن يبدع فيه وينفع أمته. وكم في الساحة من نماذج كثيرة خسرت الأمة طاقتهم بسبب الإخلال بما دلت عليه هذه القاعدة، فأعمال البر لا يفتح في الأغلب للإنسان الواحد في جميعها، ومن فتح له في شيء منها حرم غيرها في الأغلب.

القاعدة التاسعة والأربعون: {فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}

هذه قاعدة قرآنية محكمة لها أثر بالغ في تصحيح سير الإنسان إلى ربه، وضبط عاداته ومعاملاته وسلوكياته، فإن الله أمر من لا يعلم معاني الوحي بالرجوع إلى أهل العلم في جميع الحوادث، كما تضمنت تعديل أهل العلم وتزكيتهم، وأن السائل والجاهل يخرج من التبعة بمجرد السؤال، وفي ثنايا القاعدة أن الله ائتمن أهل العلم على وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والسعي لتحصيل صفات الكمال، فأفضل أهل الذكر أهل القرآن العظيم، فهم أهل الذكر على الحقيقة، وأولى من غيرهم بهذا الاسم. كما تضمنت القاعدة أيضاً الأمر بالتعلم والنهي عن سؤال الجاهلين، وفيها أيضاً أن الناس ليسوا على مرتبة واحدة في المعرفة، فهناك العلماء، وهناك من فرضهم السؤال لا الاجتهاد، وهو منطق العقل أيضاً، فلا يتصور أن يكون جميع الناس علماء، والعبرة في هذه الآية بعموم اللفظ لا

بخصوص السبب. وفيها أيضاً: وجوب تحري الثقات من أهل العلم لسؤالهم، فلا يتوجه بالسؤال لكل أحد، قال مالك بن أنس رحمه الله: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم". والمقصود التنبيه على ضرورة تحري الإنسان في سؤاله، وأن لا يسأل إلا من تبرأ به الذمة، ومن هو أتقى وأعلم وأورع، فهؤلاء أهل الذكر حقاً {فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}

القاعدة الخمسون: {إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم}

لما كان القرآن الكريم أعظم الكتب السماوية وأجمعها لجميع العلوم وآخرها عهداً برب العالمين سبحانه؛ كان هادياً للتي هي أقوم، أي الطريقة التي هي أسدّ وأصوب، فهو يهدي للتي هي أقوم في ضبط التوازن بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله، وهو يهدي للتي هي أقوم في أبواب العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية والحدود والأخلاق والسلوكيات، ويهدي للتي هي أقوم في التوازن بين التكاليف والطاقة، بحيث لا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء، ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار، ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض، أفراداً، وأزواجاً، وحكومات، وشعوباً، ودولاً، وأجناساً. فهي قاعدة تقطع الطريق على جميع المنهزمين والمتخاذلين من أهل الإسلام أو المنتسبين له.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين